

الشهيد الشاعر الربيع بوشامة، محطات في مسيرته الإصلاحية و الثورية

The Martyr Poet Rabie Bouchama: Milestones in His Reformist and Revolutionary Journey

د. عمر لمقدم (*)

جامعة الوادي، (الجزائر)، omarlemkadem3@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/05/06 تاريخ القبول: 2026/06/04 تاريخ النشر: 2026/06/08

يتناول هذا البحث شخصية الشهيد الشاعر الربيع بوشامة بوصفه أحد أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر. حيث ارتبط اسمه بمسار النخبة التي تأثرت بمبادئ عبد الشيخ الحميد بن باديس وأسهمت في نشر الوعي الديني والوطني ورغم قربه من قيادات الحركة الإصلاحية ظل الربيع بوشامة شخصية غير معروفة بالقدر الذي يتناسب مع حجم مساهماته. تركز الدراسة على إبراز دوره في النشاط الإصلاحي والتربوي داخل الجزائر إضافة إلى جهوده في توعية الجالية الجزائرية في فرنسا خلال مرحلة ما قبل الثورة التحريرية حيث ساهم في تأطيرها فكريا وحمايتها من التأثيرات السلبية للمجتمع الاستعماري كما تسلط الضوء على تجربته الشعرية التي تعد امتدادا لالتزامه الفكري إذ عكست قصائده قضايا الوطن ومقاومة الاستعمار وبعث الروح الوطنية واستهداف مختلف فئات المجتمع. تعتمد الدراسة مقارنة تحليلية تقوم على تتبع مسيرة حياته وتحليل مضامين ديوانه الشعري الذي قام بجمعه وتحقيقه المؤرخ جمال قنان بهدف إبراز مكانته ضمن اعلام الإصلاح، والكشف عن دوره في تمهيد الأرضية الفكرية للثورة الجزائرية.

الملخص

الربيع بوشامة، الحركة الإصلاحية، الشعر الإصلاحي، المهاجرين، الثورة الجزائرية.

الكلمات الدالة

Abstract:

This study examines the figure of the martyr poet Rabie Bouchama as one of the prominent reformist figures in Algeria. He belonged to the intellectual elite influenced by the principles of Abdelhamid Ben Badis and contributed significantly to spreading religious and national awareness. Despite his close connection to the leaders of the reform movement, Rabie Bouchama remained relatively unknown compared to the significance of his contributions.

The paper highlights his role in educational and reformist activities within Algeria, as well as his efforts in raising awareness among

* المؤلف المرسل.

Algerian migrants in France before the War of Independence. He played a key role in guiding and protecting them from the negative influences of the colonial environment. The study also explores his poetic work, which reflects his intellectual commitment, addressing themes such as nationalism, resistance to colonialism, and the awakening of collective consciousness across different social groups. Adopting a historical-analytical approach, the study traces his life trajectory and analyzes the themes of his poetry collection compiled by the historian Jamal Qannan, aiming to highlight his position within the reformist movement and his contribution to shaping the intellectual foundations of the Algerian revolution.

Keywords:

RabieBouchama; Reform Movement; Reformist Poetry; Migrants; Algerian Revolution.

1. مقدمة:

شهدت الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين أوضاعا سياسية وثقافية معقدة بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية التي استهدفت مقومات الهوية الوطنية للشعب الجزائري وفي خضم هذه الأوضاع برزت الحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوصفها مشروعا فكريا ونهضويا سعى إلى إحياء القيم الإسلامية وبعث الوعي الوطني ومقاومة مظاهر التغريب والانحلال من خلال التعليم والارشاد والتوجيه.

وفي هذا السياق ظهرت نخبة من المصلحين الذين حملوا رسالة الإصلاح في مختلف مناطق الوطن كما ساهمت هذه الشخصيات في نشر الفكر الاصلاحي داخل الجزائر وخارجها ومن بين هذه الشخصيات يبرز الشهيد الشاعر الربيع بوشامة الذي جمع بين الالتزام الدعوي والعمل التربوي واسهم في تجسيد مبادئ الحركة الإصلاحية سواء من خلال نشاطه التعليمي أو من خلال اسهاماته في توعية الجالية الجزائرية بفرنسا.

تكتسي دراسة هذه الشخصية أهمية خاصة لما تعكسه من تداخل بين العمل الثقافي والنضال الوطني كما تبرز دور المثقف الاصلاحي في إعداد المجتمع لمواجهة التحديات الاستعمارية وتزداد هذه الأهمية بالنظر إلى إنتاجه الشعري الذي يعد مرآة صادقة لانشغالات المرحلة حيث جسد فيه معاني الوطنية والحرية والدعوة الى مقاومة الاستعمار وهو ما يتجلى في ديوانه الذي قام بجمعه وتحقيقه المؤرخ جمال قنّان.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أبرز محطات حياة الربيع بوشامة وتحليل نشاطه الاصلاحى واستجلاء ابعاد تجربته الفكرية والنضالية كما تتناول الدراسة اشكالية رئيسية تتمثل في كيفية مساهمة الربيع بوشامة في نشر الوعي الاصلاحى والوطنى وما طبيعة الدور الذى اداه في تمهيد الأرضية الفكرية للثورة التحريرية ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تعتمد هذه الدراسة على تتبع مسيرته العلمية والعملية وتحليل مضامين انتاجه الشعري من خلال محاور تطرقت إلى نشأته وتكوينه ونشاطه الإصلاحي في الجزائر وفرنسا وعلاقته برجال الحركة الإصلاحية، بالإضافة إلى دراسة الأبعاد الوطنية والاجتماعية في شعره وكذا الادبيات التي تطرقت إليه وتهدف إلى إبراز مكانة الربيع بوشامة ضمن أعلام الإصلاح والكشف عن اسهامه في بناء الوعي الوطنى خلال المرحلة الاستعمارية.

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة نجد بعضها ك مقال الشيخ الشهيد الربيع بوشامة -حياته وآثاره للباحث خالد حموم و مقال بعنوان الشاعر الشهيد الربيع بوشامة للباحث محمد ابن سميعة، ورغم هذه المحاولات للبحث حول شخصية الربيع بوشامة إلا أن الملاحظ أن هذه الشخصية لم تحظى بما يكفي من البحث والدراسة بالنظر لمكانتها و أهمية مساهمتها النضالية، إذ غالبا ما يرد ذكرها في سياق عام للحركة الإصلاحية دون تخصيص دراسات مستقلة تعالج مختلف جوانب تجربتها ومن ثم تأتي هذه الورقة البحثية كمحاولة للإسهام في التعريف بهذه الشخصية ودورها في مسار الإصلاح والنضال الوطنى.

2. نشأة الربيع بوشامة وبيئته وتعليمه:

ولد الربيع بوشامة في شهر ديسمبر سنة 1916 في قرية قنزات بمنطقة بني يعلى بولاية سطيف حاليا، وكان ترتيبه الثانى بين إخوته الخمسة (ولدين وثلاث بنات)، وتميزت شخصيته بالهدوء منذ صغر.

عندما كان يحفظ القرآن تردد في ذات الوقت على المدرسة الفرنسية، حيث أتم حفظه في سن الثانية عشر على يد الشيخ الصديق بن عبد السلام، و أقام له والده حفلا تقليديا بهذه المناسبة، أما مدرسه بالمدرسة الفرنسية فقد وصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية ثم توجه إلى تحصيل

المعارف على يد علماء منطقة بني يعلى، حيث تتلمذ على يد الشيخ سعيد صالحى سنوات عديدة واحتك به، وأخذ عن الشيخ العياشى مرغيش علوم النحو والتجويد والقراءات ودرس الفقه من خلال دراسة مختصر خليل المالكي على يد الشيخ الهاشمي بلمولود، بالإضافة إلى تتلمذه على يد علماء آخرين أمثال الشيخ السعيد بن عمر وعلي الزموري.

لقد كانت منطقة بني يعلى التي شب فيها الشيخ الربيع منطقة نشاط لجمعية العلماء، وهو ما مكنه من الاحتكاك مبكرا والتأثر بالحركة الإصلاحية ورجاها بالمنطقة خصوصا شيخه سعيد صالحى والسعيد بن عمر والفضيل الورتلاني، كما اشترك الشيخ الربيع في مجلة الشهاب الإصلاحية، وباشر نشاطه الإصلاحي وصار عضوا فاعلا في منطقته لاسيما بعد سنة 1937م، حيث أسس مع بعض رفاقه ناديا للشباب، كما ساعد أستاذه السعيد صالحى في تقديم الدروس بمسجد الجمعة الشهير بقنزات¹.

3. النشاط الإصلاحي للشيخ الربيع في فرنسا:

نظرا لبعد تفكير الشيخ ابن باديس في توجيه العمل الإصلاحي فلم تفتته ضرورة العناية بأمر المهاجرين الجزائريين في فرنسا خصوصا بعد فتح باب الهجرة، ورأى الشيخ ابن باديس ضرورة توسيع العمل الإصلاحي إلى فرنسا نفسها ليشمل النشاط هذه الشريحة من المجتمع الجزائري وتحسينها من المؤثرات السلبية للمجتمع الفرنسي، فقد رأى الشيخ ابن باديس ضرورة إيفاد بعثات إصلاحية تمثل الجمعية، لتنشيط العمل الإصلاحي في فرنسا بعد ملاحظة تزايد تعداد المهاجرين الجزائريين.

في ربيع 1938 أوفد الربيع بوشامة إلى باريس رفيقه أستاذه سعيد صالحى، لمساعدة الشيخ الفضيل الورتلاني في الدفع بنشاط جمعية العلماء في فرنسا وهو لم يبلغ 22 سنة، وتبدو هذه ثقة كبيرة حظي بها الربيع بوشامة أن يتم اختياره من طرف الشيخ المصلح ابن باديس لهذه المهمة، أين رافق آنذاك أستاذه السعيد صالحى في عودته إلى باريس مرة أخرى في بداية جويلية 1938²، حيث استقبل بحفاوة من طرف نوادي التهذيب التي سبق أن أنشئت من قبل وأيضا الجمعيات كجمعية النهضة الخيرية التي جمعت كل أبناء بني أورير في باريس³.

بعد مجيء الربيع بوشامة إلى باريس تواصل النشاط الذي كان من ثمراته إنشاء الجمعيات المنضوية تحت لواء التيار الإصلاحي، ومن ذلك إنشاء جمعية الإسعاف بباريس التي أسسها المهاجرون من أبناء قرية الشريعة بحمام قرقور⁴ قرب سطيف حاليا، وهدفها التضامن مع أبناء الجالية المسلمة وأبناء القرية خصوصا، وأيضا جمعية الدفاع والمراقبة لبني ورتيلان⁵، وقد أرسل الشيخ الربيع من باريس تقريراً حول جمعية التهذيب في فرنسا وأنشطتها، ونشر في جريدة البصائر في عددها 144 الصادر بتاريخ 16 ديسمبر 1938م.

توقف نشاط الشيخ الربيع في هذه المرحلة الأولى عشية الحرب العالمية الثانية بسبب استدعائه للخدمة العسكرية التي أعفى منها بسبب ضعف بصره، غير أنه واصل نشاطه في الجزائر.

4. إلتحاق الربيع بوشامة بالشيخ ابن باديس بقسنطينة:

بعد عودته من فرنسا قرر الربيع بوشامة الذهاب إلى قسنطينة للالتحاق بالشيخ ابن باديس والتلمذ على يديه، حيث قضى 10 أشهر لازم فيها الشيخ المصلح وكان تأثره به كبيرا بل كان يسميه الأب الروحي⁶، كما كانت له مراسلات مع شيخه ابن باديس⁷.

بتكليف من الشيخ ابن باديس قام الربيع بوشامة بتدريس المستويات الأولى، وكان ابن باديس معجبا جدا بمستوى تحصيله إلى درجة أن الشيخ اقترح عليه إكمال دراسته بالزيتونة، غير أنه اعتذر بسبب فقره ولكن الشيخ وعده ببحث إمكانية مساعدته.

كانت وفاة ابن باديس صدمة كبيرة للشاعر فقد عاد إثر ذلك إلى قريته قنزات، حيث بقي فيها سنتين وأشهرها كان له خلالها نشاط إصلاحي هام لفت انتباه الإدارة الاستعمارية بالمنطقة، حيث استدعي مرتين وهدد بالنفي إلى الصحراء⁸.

في سنة 1942 التحق الشيخ الربيع بوشامة بمنطقة خراطة وصار معلما بمدرستها بعد أن أبلغه صديقه محمد الشريف أحوم أن المدرسة تحتاج إلى معلم⁹، وهو ما جعل الشيخ يعايش الأحداث الكبرى بتاريخ 8 ماي 1945 التي ألقت بظلالها على مدينة خراطة التي شهدت حدوث مناوشات بين الجزائريين والمستوطنين قتل فيها بعض المستوطنين، وتم إلقاء القبض على الربيع بوشامة في منزله، وتم جمع باقي السكان بما فيهم أسرته، وبعد مدة خرجت الأسرة لتجد

نفسها دون عائل، وبعد أسبوعين إلتحق بها أخو الشاعر ويسمى رمضان بوشامة الذي عاد لتوه من الحرب في أوروبا. عاد رمضان بالأسرة إلى قنزات وتوجه إلى سطيف لتكليف محامي للدفاع عن أخيه المعتقل والمتهم بتحريض الناس يوم 8 ماي، وصدر في حقه حكم بالإعدام رفقة 13 آخرين، غير أنه بعد الاستئناف في قسنطينة وتوكيل محامي أوروبي تمت تبرئة الشيخ الربيع، وهو قرار يدخل ضمن إطار سعي الحكومة الفرنسية لغلق ملف حوادث 8 ماي 1945م وتوابعه¹⁰، وتلقى الشيخ الربيع علاجاً في مستشفى سطيف ثم نقل إلى سجن الكدية بقسنطينة¹¹، وخرج الشاعر من السجن في أواخر شهر فيفري 1946.

انتقل الشيخ الربيع بعد أشهر إلى الجزائر العاصمة بعد أن اتصلت به جمعية الهداية بحج العناصر للعمل لديها كمعلم بالمدرسة، هو الشيء الذي باركه الشيخ الإبراهيمي وأوصاهم به خيراً، وتم الاتفاق في آخر جوان 1946¹².

في أول جويلية 1946 باشر الشيخ الربيع مهامه بالمدرسة، التي كانت في حالة ضعف، وقد عرفت منذ مجيئه نشاطاً دؤوباً، حيث ارتفع عدد التلاميذ المنتسبين للمدرسة، وبلغ عددهم في قسم الشيخ وحده 120 تلميذاً، نصفهم لفترة الصباح والنصف الباقي لفترة المساء، بل استحدث الشيخ الربيع درسا عاما أسبوعيا ودروسا ليلية مقابل أجر وقد تنازل الشيخ الربيع عن حقوقه في هذه الدروس لصالح جمعية الهداية، وقد نقلت لجنة من الجمعية خبر انتعاش المدرسة إلى الشيخ الإبراهيمي حيث قالوا له: "كانت المدرسة ميتة فأحيها الشيخ الربيع بوشامة"، وتقديرا للجهود التي بذلها الشيخ الربيع فقد عينته جمعية العلماء مديرا ممتازا من الدرجة الأولى في سلكها التعليمي في موسم 1947/1948م¹³.

قامت إدارة جمعية العلماء بتعيينه معلما ومديرا لمدرسة الثبات بالحرش ابتداء من الموسم الدراسي 1948/1949، حيث سيرها بنفس الجدية والحماس حتى أصبحت هذه المدرسة ترسل بطلبتها إلى جامع الزيتونة أو معهد ابن باديس بقسنطينة لإكمال الدراسة، بل ساهمت مدرسة الثبات بمرشحين في أول دورة للشهادة الابتدائية قامت بتنظيمها جمعية العلماء وذلك سنة 1952م. وكان الشيخ إلى جانب ذلك يقدم دروسا وعظية أسبوعية ورمضانية وفي

المناسبات¹⁴، حيث كان من الوعاظ الذين انتدبتهم جمعية العلماء لتقديم الدروس الرمضانية وكان انتدابه في الحراش¹⁵.

كانت مدرسة الثبات بالحراش مكان انعقاد اجتماع تناول ضرورة تفعيل علاقة الجمعية بالكشافة الإسلامية وقد أصدرت جامعة الكشافة الإسلامية بلاغا حول هذا الأمر في أكتوبر 1950م، كما أقيم حفل للكشافة الإسلامية بالمدرسة وألقى الشيخ الربيع قصيدة بالمناسبة¹⁶.

5. النشاط الإصلاحي للشيخ الربيع في فرنسا للمرة الثانية:

سار الشيخ البشير الإبراهيمي بنفس المنهج الإصلاحي لابن باديس في فرنسا خصوصا بعد زيارته لها في أواخر 1951م قبل توجهه إلى المشرق¹⁷، وهو ما حفز لديه ضرورة الدفع بالنشاط الإصلاحي لتزايد أعداد المهاجرين وكون فرنسا صارت نقطة تواصل للجالية المسلمة. ففي الاجتماع المنعقد بسيينا دينا زاد في سبتمبر 1951 برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي تحدث فيه عن نشاط الجمعية في فرنسا وتناول اختيار الجمعية إرسال مندوب عنها إلى الجالية الجزائرية في فرنسا التي بلغت 100 ألف نسمة ولها عدد من الأطفال يبلغ 20 ألفا، وأشار الشيخ أنهم يقضون مضاجع الجمعية التي تعتبر نفسها صاحبة رسالة تجاههم في غربتهم¹⁸.

إن النشاط الذي أبداه الشيخ الربيع بوشامة في فرنسا سابقا جعلته محل ثقة قيادة الجمعية ممثلة في الشيخ البشير الإبراهيمي، ففي شهر أوت 1952 تم انتدابه من طرف الجمعية ليكون رئيس شعبتها المركزية بباريس، بتوجيه من الشيخ الإبراهيمي بعد الزيارة التي قام بها هذا الأخير إلى باريس¹⁹، وحرص على استغلال مناسبة العيد وصلاة عيد الأضحى في باريس بإشراف جمعية العلماء للتعريف بها وبأهدافها لدى شريحة المهاجرين، وانبرى الشيخ الربيع لهذه المهمة وفق خطة تستهدف:

- التعريف بالجمعية والدعوة إليها وتكوين شعب جديدة في عموم مناطق فرنسا.
- تأمين موارد مالية للجمعية وتنظيمها وإعداد مقرات لتعليم الناشئة.
- التواصل مع الجالية الجزائرية والعربية المسلمة لاسيما نخبتها المثقفة.

-السعي لتأمين بعثة معهد ابن باديس لدراسة الصناعة في فرنسا(أمنية للشيخ العربي التبسي)²⁰.

بدأ الشيخ الربيع مهامه الجديدة بتجديد مكتب الشعبة المركزية، وأسس حوالي 11 شعبة فرعية في باريس وضواحيها²¹، بالإضافة إلى شعب أخرى في باقي المدن الفرنسية كمرسيليا²².

بادر الشيخ الربيع إلى تحريك النشاط التعليمي والإرشادي في أوساط المهاجرين الجزائريين وحتى الجالية المسلمة، كما استقدم شخصيات وعلماء غير جزائريين للمساهمة في الدروس والنشاطات المختلفة مثل الشيخ صبحي صالح من لبنان وكمال أبو المجد من مصر²³.

سعى الشيخ الربيع لاستقطاب واستغلال كل جهود الفعاليات مهما كانت انتماءاتهم السياسية، حيث انخرط عدد من عناصر حركة انتصار الحريات الديمقراطية في نشاط شعبة باريس، وأبرزهم العقيد عميروش آيت حمودة، الذي صارت له مع الشيخ الربيع علاقة وطيدة²⁴، وكان عميروش في باريس قبل الثورة يناضل من أجل تحقيق أهداف الجمعية بل ومسؤول عن إحدى شعبها هناك²⁵، غير أن هذا النشاط توقف بسبب إنهاء مهام الشيخ الربيع بعد حوالي سنة من تكليفه، ويعتبر جمال قنان أن السبب يعود إلى محاولة الشيخ الربيع التخلص من وصاية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على الجمعية في باريس²⁶.

يشير عبد الحفيظ أمقران أن الرئيس الشرفي للشعبة المركزية أصابته غيرة من نشاط الشيخ الربيع ورفض كذلك ضم شباب سياسيين إلى مكتب الشعبة المركزية، فراسل بشكل سري قيادة الجمعية في الجزائر يطلب إقالة الشيخ الربيع حيث رفض دخول عناصر من حركة الانتصار إلى مكتب الشعبة المركزية واعتبر ذلك تسييسا لخط الجمعية الذي يقوم على التثقيف والتهديب وتم تعيين الشيخ سعيد البياني²⁷.

6. إلتحاق الربيع بوشامة بالثورة:

خلال الأشهر الأولى للثورة حدث اتصال بين الشيخ الربيع بوشامة والعقيد عميروش، وتدعم بلقاء ثاني في ربيع 1955، ومع تطور الأحداث توجه الربيع بوشامة في ثاني أيام عيد الفطر 1375هـ الموافق لـ 13 ماي 1956م، إلى قلعة بني عباس أين اجتمع مع عميروش وبحث معه

الأوضاع في المنطقة، بعدها قام باتصالات كثيرة مع معارفه، وفي بداية جانفي 1957 أخبر زوجته أنه سيتصل بجيش التحرير وطلب منها كتمان الأمر، وأمضى شهرا كاملا متنقلا في أوساط جيش التحرير كتب بعدها قصيدة حياة ثائر²⁸.

وقد عمل الربيع بوشامة على تزويد الجيش التحرير بالضروريات من خلال إقامة شبكات منظمة، كما عمل على تجنيد الشباب وتأمين التحاقهم بجيش التحرير وعمل على بث الوعي والدعم المعنوي.

أشار جمال قنان أن عميروش أخبره في ربيع 1957 بضرورة إعداد ما يلزم لكي يغادر الشيخ الربيع البلاد، وأشارت زوجته عليه بذلك، لكنه رفض الفكرة قائلا: إذا كان كل واحد يشعر بالخوف ويخرج من البلاد فمن الذي سيخدم الجيش في الجبل²⁹.

في يوم 16 جانفي 1959، قامت مجموعة من الدرك الفرنسي بإلقاء القبض على الشيخ الربيع بمدرسة الثبات في الحراش بتهمة تمزيق العلم الفرنسي، وأطلق سراحه مساء ذلك اليوم لكنهم عاودوا إلقاء القبض عليه مرة أخرى في منتصف الليل من طرف الشرطة السرية، ولم تتمكن عائلته من معرفة مكان وجوده رغم توكيل محامي³⁰.

اتضح فيما بعد أن الشهيد نقله إلى مزرعة بوشي قرب منطقة الأربعطاش، وعذب عذابا شديدا قبل أن ينتهي به الأمر إلى مقتله يوم 14 ماي 1959 أمام بلدية بودواو، وزعمت الصحافة الاستعمارية أنه قتل في اشتباك بين جيش التحرير وقوات العدو الفرنسي، وأذيع ذلك بمكبرات الصوت في سطيف. وكان لما حدث للشيخ الربيع وقع شديد في نفوس المواطنين الذين سارعوا إلى مواساة العائلة رغم كل الظروف التعسف والقهر³¹.

7. ديوان الشاعر الربيع بوشامة وأغراضه:

تم جمعه من طرف الدكتور جمال قنان وهو ابن أخت الشيخ الربيع³²، الذي أوصاه بنفسه عندما كان طفلا بجمع أشعاره، وقد كان الديوان مجرد قصائد مكتوبة في مسودات أو منشورة بشكل متفرق في جرائد جمعية العلماء لاسيما البصائر، وقد اجتهد الدكتور جمال قنان في جمع القصائد الشعرية لخاله الشيخ الربيع وقام بتوزيعها على أبواب مختلفة وعنون بعضها³³، و تمت

تسميته بـ "ديوان الشهيد الربيع بوشامة"، وقد صدر الديوان لأول مرة سنة 1994 كأحد منشورات المتحف الوطني للمجاهد، وقد ذكر جمال قنان أن الديوان شمل عدة موضوعات منها شعر الوطني، المنهج الإصلاحي والتربوي وشعر الثورة كما أنه وضع تواريخ لبعض قصائده ومناسباتها³⁴، وللإشارة فإنه لم يكن من عائلة الشيخ الربيع من يقول الشعر³⁵.

يعكس ديوان الشيخ الربيع صور بطولية للشعب الجزائري، ويمثل إرثا نضاليا وأديبا وثقافيا للحركة الإصلاحية على الخصوص. يشير سعد الله إلى أن الشعر قد دخل إلى معركة الإصلاح ضد المستعمر والفساد والإشادة بالعمالين الصادقين³⁶، أما محمد ناصر فيقول أن الأدبية الجزائرية ليست قصيرة وإنما هي تمتد من أشعار الأمير مروا بجيل ابن باديس والربيع بوشامة فالصلة موجوده ولا يمكن أن تمحى مهما كانت الظروف³⁷.

إمتاز الشهيد الربيع بوشامة بحسن وطني كبير ويبدو ذا روح ثورية متفضة تجاه الظاهرة الاستعمارية التي حاولت محو الأمة الجزائرية من الوجود، كما يمتاز بالأفكار الوطنية والإصلاحية وهي التي حاول الشاعر بثها في الشعب الجزائري وغرس الروح الوطنية فيه و توعيته، وهو ما عبر عنه عبد المالك مرتاض بقوله: "لا يعقل أن تكون حركة ثورة عظيمة كثورة التحرير العارمة ولا يكون وراءها عقول مفكرة"³⁸.

تناول الربيع بوشامة عدة جوانب كالتغني بجمال الوطن والإشادة بالأبطال وإحياء ذكرى الحوادث التي مرت بها الجزائر كما تناول تمجيد الثورة الجزائرية ولم يغفل جانبا مهما في المجتمع الجزائري تمثل في دور المرأة الجزائرية في بث الروح الوطنية وإعداد جيل النصر المنشود³⁹.

أشاد الربيع بوشامة بجمال وطنه وإذكاء الروح الوطنية في نفوس الجزائريين، حيث ذكرهم بعزة الوطن وعراقته في التاريخ، فقد بلغ عدد الأبيات التي تناولها في جمال الوطن نحو 308 بيتا⁴⁰ ويقول في قصيدة:⁴¹

وقف على صخره ملساء أو نشر
واهزج لأطلس شعر المخلص الفادي
وطني للجمال البكري في حرم
مقدسة أبدا من ارث أجدادي

فيك الحياة وفيك الأنس مجتمعا
ومنك كل المنى موفورة الزاد
وتبلغ كراهية الشيخ الربيع للمستعمر إلى اعتبار كل الأرض الجزائرية معادية للاستعمار إذ
يقول:⁴²

كل شبر مأوى لهول كمين
فيه جيش التحرير بالمرصاد
ولم يغفل الربيع بوشامة عن تأجيج نفوس الجزائريين وفئة الشباب خصوصا من خلال إحياء قيمة
الشهيد ودوره في شحن عزائمهم فيقول:⁴³

يا شهيدا في زهره العمر قضى ظامنا للعلياء وللتحرير
حسبك الله قد آذيت قلوبا عند مهواكا وانطفأ كل نور
سوف ينمو على دمائك غرس يثمر العز والعلاء في الدهور
يا شهيد الأوطان حسبك مجدا أن تكون القربان للتحرير
وتناول الشيخالربيع بوشامةحوادث الثامن ماي الأليمة، لاسيما وأنه عايشها وتأذى بسببها
في خراطة إحدى عواصم الأحداث، فكانت قصيدته "خراطة"⁴⁴.
وتناول الشاعر الثورة وأبطالها و يصفهم بأنهم الذين صنعوا مجدا قل نظيره وصفق له التاريخ
فيقول:⁴⁵

حي البطولة في حضن الدم القاني ييكي الدموع ذوب وجدان
هذا ابنك الحر في ساح الجهاد قضى هذا على الحمى ممدود جثمان
يرى سعد الله أن الثورة قد ألهمت الشعر موضوعات لم يكن يخوض فيها من قبل⁴⁶، ونجد
الشيخ الربيع يقدم للشعب الصورة الحقيقية للثوار التي حاول المستعمر تشويهها من خلال
ترسانته الإعلامية ويخص منهم العقيد عميروش كنموذج للقادة المخلصين فقال:⁴⁷

حي في الأبطال فتیان الفداء وأخصص عميروش منهم بالثناء
بطل الثورة ييلي أبدا في جهاد المعتدي خير البلاء
ويقود الجيش في سبل العلاء من فخار الفخاري وسناء
قائد شهم همام وأخ طيب الأخلاق ميمون الإخاء

ذلك عميروش نداء الحمى ومذل الغاصبين الأشقياء
أولى الشيخ الربيع بوشامة المرأة الجزائرية اهتمامه لاسيما و أنها تمثل جانبنا اجتماعيا هام وأشاد
بأعمالها وضرورة توعيتها بدورها في تربية النشء وإعداده لتحمل المهام التي تنتظره فيقول:⁴⁸
يا ابنة العرب الأبابة نسل عز و فصال
أنت خير المنجبات لصناديد الرجال
يا ابنة العرب تعالي فادخلي ساح النضال
و ادأبي مثل الرجال للمعالي و الكمال
يمثل الشيخ الربيع بوشامة حالة تحررية جمعت بين الكفاح الثقافي والفكري والكفاح الثوري
المسلح، وقد اشار إليها عبد الله ركيبي في قوله: " الاديب يتحول الى رمز الفداء والتضحية
حين يحمل القلم والرشاش معا ويستشهد في أرض المعركة من أجل مبادئ شعبه كما فعل
الشاعر الشهيد الربيع بوشامة"⁴⁹.

الخاتمة

تكشف سيرة الشهيد الشاعر الربيع بوشامة عن نموذج متكامل للمثقف الاصلاحى الذي
تشرب مبادئ الحركة الإصلاحية وجسدها سلوكا وممارسة في مختلف مراحل الحياة فقد أسهم من
خلال نشاطه التعليمي والدعوي في ترسيخ الوعي الديني والوطني كما كان له دور بارز في
توجيه فئات المجتمع داخل الوطن وخارجه نحو ادراك مخاطر الاستعمار وضرورة مقاومته
يبرز انتاجه الشعري بوصفه امتدادا لالتزامه الفكري، حيث عبر عن خلاله عن هموم المجتمع
وتطلعاته فجاءت قصائده مشحونة بروح الوطنية والدعوة الى التحرر ومنسجمة مع الخطاب
الاصلاحى الذي مهد الاندلاع الثورة ولم يكن شعرهم مجرد تعبير أدبي بل كان أداة للتوعية وبناء
الوعي الجمعي خاصة لدى فئة الشباب.

من خلال تتبع مسيرته يتضح ان الربيع بوشامة لم يكن معزولا عن سياق عصره، بل كان فاعلا
فيه مساهما في الربط بين العمل الاصلاحى والنضال الوطنى، وهو ما تجلّى في التحاقه المبكر

بالثورة ودعمه لجيش التحرير، وبذلك تمثل تجربته حلقة مهمة في مسار التحول من الإصلاح الى المقاومة المسلحة.

وعليه فان دراسة هذه الشخصية تفتح آفاقا واسعة لفهم طبيعة العلاقة بين الفكر الاصلاحي والحركة الوطنية في الجزائر، كما تبرد أهمية استحضار اسهامات الشخصيات التي لم تنل حقها الكافي من البحث رغم دورها المؤثر في صناعة الوعي وتمهيد الطريق نحو الاستقلال، ومن ثم تبقى تجربة الربيع بوشامة جديدة بمزيد من الدراسات التي تبحث في مختلف جوانبها وتعيد الاعتبار لإرثها الفكري والنضالي في الذاكرة الوطنية.

الهوامش: (*)¹

1 الربيع بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، جمع و تقديم: جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص ص 4-5.

2 سعيد بورنان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1954: مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007/2008، ص 128.

3 كانت جمعية النهضة الخيرية في المهجر تجمع أبناء منطقة بني أورير بقنرات المهاجرين تعقد اجتماعا أسبوعيا، وقررت إيفاد بعثة علمية إلى قسنطينة أو تونس على نفقتها، و التزم أعضاؤها بدفع 50 فرنكا كمساهمات مالية، وكانت هذه الجمعية قد تضامنت مع الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي و رفاقه في السجن، للتوسع أنظر: جبلي ا، جمعية النهضة، جريدة البصائر، العدد 112، 6 ماي 1938، ص 5.

4 بشافع الصالح، جمعية الإسعاف بباريس، جريدة البصائر، العدد 128، 26 أوت 1938، ص 8.

5 محمد الطاهر الورتلائي، جمعية الدفاع و المراقبة لبني ورتيلان، جريدة البصائر، العدد 133، 12 أوت 1938، ص 7.

6 الديوان، مصدر سابق، ص 5.

7 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8 (1830-1954)، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 95.

8 الديوان، مصدر سابق، ص ص 5-6.

(*) التهميش الأول، ويليه التهميش الثاني،... الخ (التهميش يكون في آخر المقال Notes de fin:)

- 9 نفس المصدر، ص 6.
- 10 نفس المصدر، ص ص 12-13.
- 11 مُجَد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ج 2، دار هوم، الجزائر، 2013، ص 123.
- 12 الديوان، مصدر سابق، ص 13.
- 13 نفس المصدر، ص 13.
- 14 نفس المصدر، ص 14.
- 15 مُجَد خير الدين، مذكرات الشيخ مُجَد خير الدين، ج 1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 268.
- 16 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10 (1954-1962)، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 28.
- 17 سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 129.
- 18 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، مرجع سابق، ص 22.
- 19 يحي بو عزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 224.
- 20 الديوان، مصدر سابق، ص 15.
- 21 سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 129.
- 22 الديوان، مصدر سابق، ص 17.
- 23 سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 129.
- 24 سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 129.
- 25 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، مرجع سابق، ص 22.
- 26 الديوان، مصدر سابق، ص 17.
- 27 سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 129.
- 28 الديوان، مصدر سابق، ص 20.
- 29 الديوان، مصدر سابق، ص ص 18-22.
- 30 أغتيل لاحقا من طرف منظمة الجيش السري.
- 31 الديوان، مصدر سابق، ص ص 23-28.
- 32 يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص 227.

- 33 الديوان، مصدر سابق، ص ص 34-35.
- 34 جمال قنان، الوعي التاريخي: حالة الجزائر محاضرة بمناسبة حفل تسليم جائزة اللغة العربية 2010 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 31.
- 35 مُجَد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص 124.
- 36 أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط 5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 70.
- 37 مُجَد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006، ص 115.
- 38 عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 232.
- 39 جحيش سهيلة، شعر شهداء الثورة الربيع بوشامة أنموذجا، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، جامعة باتنة، 2007/2008، ص 34.
- 40 جحيش سهيلة، المرجع نفسه، ص 36.
- 41 الديوان، مصدر سابق، ص 63.
- 42 الديوان، مصدر سابق، ص 222.
- 43 نفس المصدر، ص 206.
- 44 نفس المصدر، ص 134.
- 45 نفس المصدر، ص 64.
- 46 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 72.
- 47 الديوان، مصدر سابق، ص ص 187-188.
- 48 نفس المصدر، ص 179.
- 49 عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ط 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 37.